ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Ghada gahtan Hasan

University of Al Mosul College of Arts

Email: ghada.q.h@uomosul.edu.iq

Keywords:

Agriculture, Andalus, economic, cities, nature

Article info

Article history:

Received 1.July.2022

Accepted 17.July.2022

Published 1.Aug.2022

The book "Farhat Al-Anfus fi Torikhil-Andalus" by Ibn-Ghalib Al-Andalusi as a Source for, Economic History of Andalusia in 12th C A.D (6th C A.H)

A B S T R A C T

The book " Farhat Al-Anfus fi Torikhil-Andalus" ,by Ibn-Ghalib Al-Andalusi, is one of the important geographical books in the study of the history and cities of Andalusia. It provided us with valuable information about a number of Andalusian cities and the economic characteristics of these cities in terms of agriculture, industry and minerals. additionally, it presented all geographical characteristics and most important natural and climatic factors that control the economic activity of the population. The author summarized their livelihood resources and the most important professions that they practiced in that period, along with the most important financial resources and expenditures of the Arab state in Andalusia.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol48.Iss3.3176

كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس لأبن غالب الأندلسي مصدراً لتاريخ الاندلس الاقتصادي في القرن (6هـ/ 12م)

م.د. غادة قحطان حسن

جامعة الموصل / كلية الآداب

الملخص العربي:

يعد كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الاندلس لمؤلفه أبن غالب الاندلسي من أهل القرن (السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) من الكتب الجغرافية المهمة في دراسة تاريخ ومدن الاندلس, إذ يقدم لنا معلومات قيمة عن عدد من المدن الأندلسية وما تمتاز به هذه المدن من الناحية الاقتصادية من زراعة وصناعة ومعادن, فضلاً عن الخصائص الجغرافية التي كانت تتمتع بها هذه المدن وأهم العوامل الطبيعية والمناخية والتي تتحكم بالنشاط الاقتصادي للسكان وذكر مواردها المعاشية و أهم المهن التي كانوا يزاولونها في تلك الفترة مع ذكر الموارد والنفقات المالية للدولة العربية في الأندلس.

الكلمات المفتاحية : الزراعة ، اندلس ، اقتصاد ، مدن ، طبيعة

المقدمة:

ان دراسة كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس من الدراسات المهمة التي لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنها كونها من المصادر الجغرافية القيمة والمهمة ومؤلفه ابن غالب الأندلسي من أبرز علماء القرن (السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) إذ يمثل انموذجاً حيوياً من نماذج حضارة الأندلس إذ تميزت المادة التاريخية التي قدمها ابن غالب الأندلسي بقيمتها الجغرافية لأنه سجل معلومات جغرافية مهمة عن مدن الأندلس.

وتناولت الدراسة مقدمة وثلاث فصول وخاتمة, الفصل الأول تناول سيرة وعصر ابن غالب الاندلسي فضلاً عن كتابه فرحة الانفس , أما الفصل الثاني فقد تناول الحياة الاقتصادية في الاندلس من الزراعة وأهم المحاصيل الزراعية وعملية البيع والشراء لهذه المحاصيل ووسائل الري فضلاً عن تربية الحيوانات, والصناعة والمعادن وأهم المدن التي اشتهرت فيها الصناعات المعدنية, أما الفصل الثالث فقد تناول موارد الدولة المالية في الأندلس وآلية الانفاق على التجهيزات العسكرية والمنشآت العمرانية وبناء المدن والقصور وما إلى ذلك.

و قد تم الاعتماد على عدد من المصادر الأولية والمراجع الثانوية التي كان لها دور مهم في تعزيز أهمية هذه الدراسة منها كتاب الروض المعطار في خير الأقطار للحميري المتوفي سنة (710 / 1310) وكتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي الذي كان حيا (712 / 1312) .

الفصل الأول

أولاً: سيرته:

من خلال البحث والتقصي عن اسم صاحب كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس بالمصادر التاريخية والكتب الاندلسية الخاصة بالتراجم لم نعثر على ترجمة وافية كاملة عن اسمه ونسبه وحياته وأيضاً عن وفاته, فقط اسمه من خلال المخطوطة هو محمد بن أيوب بن غالب أندلسي النشأة وبالتحديد من مدينة غرناطة وهو من أهل القرن (السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) ، (ابن غالب, 1955, 276).

ثانيا: عصره:

أما العصر الذي عاش فيه مؤرخ كتاب فرحة الأنفس, فليس بين يدينا ما يدلنا عليه سوى المخطوطة فقد سرد في أثناء كلامه عن مدن الأندلس بعض الحوادث التاريخية رواها رواية المعاصر لها بمعنى أنه كان معاصراً لتلك الأحداث التي جرت في الأندلس ، وحين ينقل ينبه غالباً الى المصدر الذي أخذ عنه ومن الذين أخذ منهم مثل أبو عبيد البكري وكتاب المسالك والممالك ، والرازي ، وابن حيان ، ومسلمة بن عبدالله ، (ابن غالب, 1955, 276).

وحين يتكلم مثلا عن اراضي غرناطة التي في أيدي المسلمين في الأندلس سنة(460هـ/ 1067م) اذا هو معاصر لأبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن واسمه عثمان بن عبد المؤمن الذي ولاه الخليفة الموحدي ابوه عبد المؤمن بن علي (547–558هـ/ 1152–2112م) على مدينة غرناطة واعمالها, أي أن مؤلفنا عاش في عصر الدولة الموحدية (540–620هـ/ 1145–1223م) وبالتحديد زمن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي وأولاده من بعده (ابن غالب, 1955, 277).

التي كان من أهم اعماله ضم العديد من المدن الأندلسية إلى دولة الموحدين فعندما استولت الممالك الاسبانية على مدينة المرية عام (542هـ/ 1147م) أصرت القوات الموحدية بعد سيطرتها على مدن وسط الأندلس على استرجاع هذه المدينة البحرية المهمة فجهزت قواتها البرية وحاصرت المرية بقيادة أبي سعيد بن عبد المؤمن والي غرناطة الموحدي وبعد حصار دام سبعة أشهر دخل الموحدين إلى المدينة عام (552هـ/ 1157م) وتم القضاء على قوة الممالك الاسبانية واسترجاع المدينة (المراكشي, 1963, 293).

إذ قيل في حقه أنه "من نبهاء أولاده (يعني أولاد عبد المؤمن) ونجبائهم وذوي الصرامة منهم وكان محباً في الاداب مؤثر لاهلها يهتز للشعر ويثيب عليه اجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكتاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك منهم بعده". إلى أن مات في الطاعون سنة (571هـ/ 1175م) ، (ابن السماك, 1979, 158).

ثالثاً: كتابه:

ذكر في مقدمة الكتاب باسم فرحة الأنفس لابن غالب عن كنوز الأندلس ومدنها بعد الاربعمائة ، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع عن جامعة الدول العربية لمجلة معهد المخطوطات العربية لسنة 1955م, وهي مجلة ثقافية تصدر عن معهد المخطوطات تعنى بشؤون الوثائق والمخطوطات التاريخية العربية وتصدر في أول مايو (أيار) وأول نوفمبر (تشرين الثاني) من كل سنة في القاهرة, وعدد صفحات القسم الخاصة بالأندلس 39 صفحة.

يذكر الدكتور لطفي عبد البديع أنه قد عثر في معهد المخطوطات العربية بالجامعة العربية على فلم لمخطوطة اندلسية موسومة بـ(تعليق منتقى من نزهة الانفس في تاريخ الأندلس) لمحمد بن أيوب بن غالب كتبت على ما يظهر في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بخط نسخ ، وتدل المخطوطة على قلة عناية الناسخ بالشكل والاعجام مما افضى به إلى كثير من التصحيف (ابن غالب, 1955, 272–273).

أما المصادر التي ذكرت هذه المخطوطة فلم يذكرها حسب قول المخطوطة سوى ابن سعيد في كتابه المغرب في حُلى المغرب (685هـ/ 1286م) فنقل عنه في سبعة مواضع ذكر في اثنين منها اسم الكتاب فسماه فرحة الأنفس وفي سائرها بقوله قال ابن غالب (ابن سعيد, 1119, 12/2–382/2).

وفي كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب بثلاث حالات فرحة الأنفس أو فرجة الأنفس (بالحاء المهملة أو الجيم المعجمة) وفرحة الأنفس في فضلاء العصر أو العمر من الأندلس, وفرحة الأنفس في اخبار أهل الاندلس مع الاختلاف في كلمتي فرحة وفرجة وكلمتي العمر والعصر (ابن غالب, 1955, 273 ؛ المقريزي, 1968, 54/1–246/2) فالفرح ومنه الفرحة بضم الفاء أو فتحها وهو فرح المرء وسروره اعتزازاً بما يحكى وهذا المعنى أحق واجدر, أما الفرحة فهي التقصي من الهم حسب ما ذكر وليس من هم يتقصى منه المؤلف.

أما لفظتا العمر والعصر فالأولى لا تدل على الشمول الزماني لسائر من عاصروا ابن غالب, والثانية لم ترد في النصوص المذكورة بمعنى ان ابن غالب لم يجعل اللفظ في العنوان (ابن غالب, 1955, 574).

كما ورد ذكره في كتاب ياقوت الحموي (626هـ/ 1229م) ولاسيما في التعريف بمدينة اوربه قصبة كورة جيان فقد قال "ذكر صاحب فرحة الانفس في اخبار الاندلس" (الحموي, 1993, 278/1).

بمعنى ان صدر العنوان واحد في الأسماء كلها وان الخلاف ينصب على الشطر الثاني منه فهو للاثار الأولية التي بالاندلس تارة وفي فضلاء العصر تارة أخرى ثم في اخبار أهل الاندلس.

وهذا الاختلاف بعدد التسميات يوهم القارئ ان لابن غالب له عدة كتب, وانما هو كتاب واحد قسمه إلى جزءين القسم الأول في جغرافية الاندلس وخططها وعنوانه فرحة الأنفس للآثار الأولية التي في الأندلس.

والقسم الثاني في اخبار الاندلسيين واسمه فرحة الانفس في فضلاء العصر من أهل الاندلس, وكل قسم يطلق عليه كتاب من قبيل تسمية القسم من اقسام المؤلف الواحد فصلاً أو باباً ، وهذه المخطوطة تضم القسم الجغرافي الموسوم بكتاب فرحة الانفس للاثار الأولية فهو يذكر في الكتاب ما في المدن من آثار واراضي وبناء وما إلى ذلك (ابن غالب, 1955, 274–275)

وقد تطرق ابن غالب في كتابه الى 35 مابين كورة ومدينة ، وكل هذه الكور والمدن تطرق إلى زراعتها وأهم المحاصيل الزراعية وأهم المدن التي زرعت بها المحاصيل الزراعية فضلاً عن الثروة الحيوانية وأهميتها في اقتصاد الاندلس, كما تطرق إلى الصناعة وأهم المعادن والمدن التي اشتهرت بها أنواع الصناعات والمعادن, كما تطرق ابن غالب إلى موارد الدولة المالية في بلاد الأندلس ونفقات هذه الموارد على التجهيزات العسكرية وعلى المنشآت العمرانية من بناء المدن وما تحوي هذه المدن من قصور وجوامع ودور وما إلى ذلك ...

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية في الأندلس:

احتلت الحياة الاقتصادية حيزاً مهماً في الروايات التاريخية التي أوردها ابن غالب الاندلسي في كتابه فرحة الانفس في تاريخ الأندلس, فقد أورد روايات عديدة عن الجانب الاقتصادي وما تمر به الاندلس انذاك ، محاولاً إعطاء صورة واضحة عن اقتصاد الاندلس, والتي تمثلت في الزراعة والأراضي المزروعة والثروة الحيوانية واهم المعادن واهميتها في الصناعة .

أولاً: الزراعة:

تعد الزراعة من أهم المجالات الاقتصادية المهمة والتي شهدت ازدهاراً ملحوظاً في جميع بلاد الاندلس ، إذ تشكل المصدر الأول لحياة الإنسان, على الرغم من بعض النصوص التي أوردها ابن غالب في كتابه إلا أننا استطعنا إعطاء صورة عن أهم الأراضي الزراعية والحاصلات الزراعية المنتشرة والمزروعة في جميع مدن الأندلس.

فقد ساعدت طبيعة بلاد الاندلس على الازدهار الزراعي, إذ اشتهرت بخصوبة تربتها وجودة اقاليمها وقابليتها الكبيرة للزراعة ، فضلاً عن توفر مناخ ملائم للزراعة في جميع مدنها, وقد اشتهرت الاندلس بانواع كثيرة من المحاصيل الزراعية ومن هذه المحاصيل, القمح (ابن غالب, 1955, 285) الذي كان من أجود الأصناف إذ يخزن في الأماكن المعدة لحفظه مدة طويلة دون ان يصاب بالتلف إذ ذكر ابن غالب بقوله ((مدينة طليطلة ... كريمة الأرض زاكية الزرع طعامها مع الأيام لا يتغير ومع الزمان لا يتنكر يودع قمحها بطون الاهراء فيلبث غاية الاعمار سبعين عاماً يبقى صحيحاً لم تمازجه عاهة ولا وصلت إليه آفة)), (ابن غالب, 1955, 287) وما ذكره ابن غالب يتفق مع ما ذكره البكري ((من خواص طليطلة ان حنطتها لا تسوس ولا تتغير على مر السنين يتوارثها الخلف عن السلف)), (البكري, 1968, 88),

ومن المحاصيل الزراعية الأخرى التي ذكرها ابن غالب هي زراعة الزيتون بوصفه نوع من المحاصيل المهمة في بلاد الأندلس فهذه كورة قبرة ((وهي قبلة من قرطبة أكثر أرضها بيضاء ... وهي مخصوصة بكثرة الزيتون)) (ابن غالب, 1955, 282 ؛ الحميري, 1975, 453)

وهذه كورة بلنسية ((جميع اقاليمها وجبالها مغترسة ... بالزيتون)) (ابن غالب, 1955, 285), وهذه لبلة التي تتصل بأحواز اكشونبة وهي من أطيب البلدان جامعة لكل وجه من الفوائد امتازت بكثرة زراعة الزيتون (ابن غالب, 1955 ، 292؛ الحميري, 1975, 508).

ومن المدن الاندلسية الأخرى التي اشتهرت بزراعة الزيتون كورة مورور ((وتتصل باحواز مدينة قرمونة وهي من مدن قرطبة بين الغرب والقبلة اشتملت على وجوه الفوائد ... منها كثرة الزيتون)) اذ ان مدينة قرمونة كانت ذات فائدة اقتصادية لبلاد الاندلس لكونها تشتهر بكثرة انتاج الزيتون وان هذه الاشجار كانت تجلب من أماكن بعيدة لزراعتها في هذه المنطقة أو ان الفلاحين يجدون مردوداً اقتصادياً لها لزراعتها في هذه المدينة لما لها من أهمية اقتصادية في الزراعة والصناعة (ابن غالب, 1955, 293 ؛ الحميري, 1975, 564).

كما اشتهرت كورة شذونه بزراعة اشجار الزيتون إذ ذكر مؤلفنا ان ((شجر الزيتون ... في كورة شذونة كثير مستفيض)) (ابن غالب, 1955, 294). وهذا حصن ببشتر ((وهو الحصن المنفرد بالامتناع ... كثير الزيتون)) (ابن

غالب, 1955, 295 ؛ الحموي, 1993, 333/1) كما اشتهرت مدينة قرطبة بزراعة أشجار الزيتون, فهذه الزراعة تحتل مكانة مهمة لدى الاندلسيين وهي مصدر عيشهم فقد كان يصنع منه الزيت باعتباره المادة الغذائية الرئيسة لفوائده الكثيرة.

وان مدينة اشبيلية اشتهرت بزراعة الزيتون وصناعة زيت الزيتون بقوله ((كورة اشبيلية وهي شرق من كورة لبلة وغرب من قرطبة ... وقابلت معالم مدينتها المشرفة جبل الشرف اشرف بقعة واكرم تربة المغترس بالزيتون الدائم عند اخضراره النادر عند اعتصاره لا يتغير به حال ولا يعتريه اختلال قد أخذ في الأرض طولاً وعرضاً فراسخ في فراسخ ويبقى زيتها برقته وعذوبته لا يتغير طعمه ولا يتغير بطول مكثه فاضلاً بخاصة بقعته على غيره من الزيت)) (ابن غالب, 1955, 292–296 ؛ الحموي, 1993, 195/1).

فضلاً عن زراعة الزيتون والاهتمام به, اهتم الاندلسيون بزراعة الكتان والقطن لما لهم من أهمية اقتصادية للأندلس فهذه مدينة البيرة ((وهي بين القبلة والشرق من قرطبة وأرضها سقيا, غزيرة الأنهار ... ولها الكتان الرفيع الذي له الفضل البائن)), (ابن غالب, 1955, 283) وهذه أيضاً مدينة بلنسية من مدنها ((شبرب يجود فيها الكتان)), (ابن غالب, 1955, 285 ؛ الحميري, 1975, 97–99), فضلاً عن الكتان اشتهرت بزراعة القطن وان مدينة اشبيلية كان تزرع القطن وتصدر منه إلى جميع مناطق المغرب العربي بقوله ((من فضائلها التي انفردت بها ما تنبت ارضها من عجيب قطنها يحسن فيها ويزكو بها ويعمم افاق الدنيا منها ويجهز إلى القيروان وغيرها)) (ابن غالب, 1955, 293 ؛ الحموي, 1993, 195/1 ؛ الحميري, 1975, 58–59)

ومن المحاصيل الزراعية الأخرى والتي اشتهرت بها مدن الاندلس نبات الزعفران كمدينة البيرة بقوله ((ولها مدينة باغه وهي بين الغرب والقبلة من البيرة وهي بلده كثيرة الأشجار ويجود فيها الزعفران)) (ابن غالب, 1955, 283؛ الحموي, 1993, 526/1).

وفي مدينة جيان ((ولها مدينة بياسة وهي مدينة عظيمة طيبة الأرض كثيرة الزرع والأشجار وفيها الزعفران الذي لا مثيل له)) (ابن غالب, 1955, 824 ؛ أبو الفداء, 1840م, 177) وكذلك في مدينة طليطلة ((وزعفرانها المتناهى الفضل تتفاوت جودته على كل زعفران)) وقال عنه البكري ((زعفران طليطلة هو الذي يعم البلاد ويتجهز به إلى الافاق)) (البكري, 1968, 88 ؛ الحميري, 1975, 133).

كما اشتهرت مدن الاندلس بزراعة العنبر فهذه مدينة اشبونة فيها ((العنبر الفائق المتناهى كثيراً وهو يفوق كل عنبر ولا يشبهه إلا الهندي)) (ابن غالب, 1955, 291 ؛ الحموي, 1993, 194/1).

وانتشرت البساتين في مدن الاندلس فالمنطقة مغطاة بغابات دائمة الخضرة والتي من بينها أشجار الكروم والجوز والتين والتمر والرمان واللوز كمدينة قبره وهي مدينة ((طيبة التربة مغترسة بالشجر والكروم وأنواع الثمرات)) (ابن غالب, 1955, 282 ؛ الحميري, 1975, 453). وهذه كورة البيرة ((كثيرة الثمار ملتفة الأشجار يحسن فيها شجر الجوز وقصب السكر)) وهذه مدينة الاشات ((وهي المشهورة بوادي اش وهي كثيرة الأشجار والفواكه)) (ابن غالب, 1955, 283 ؛ الحموي, 1993, 526/1, 33/2), ومدينة بلنسية ذكرها بقوله ((وجميع اقاليمها وجبالها مغترسة بالكروم واشجار التين)) كذلك مدينة تطيله اشتهرت بزراعة البساتين والأشجار العامرة بقوله ((حوت طيب الزرع ودر الضرع وكثرة الثمار)) (ابن غالب, 1955, 285–287).

كما ذكر مدينة اكشونبه ((ولها سهل منبسط كثيرة المرافق وضروب الثمار وطيب الزراع وفيض البركات)) وهذا حصين ببشتر ((وإذا توصل المتوصل إلى أعلاه الفا سهلاً منفسحاً ورحباً منبسطاً كثير الكروم والزيتون والرمان واللوز)) (ابن غالب, 1955, 291–295 ؛ الحميري, 1975, 79), كما تحدث عن مدينة قريش بقوله ((لارضها زرع كثير وفيها

اجناس الثمار والغالب على ثمارها شجر الشاه بلوط وهو القسطل وشجر الغراسيا وشجر الجلوز وشجر الجوز)) (ابن غالب, 1955, 289–290 ؛ الحميري, 1975, 440).

كما تحدث عن أشجار مدينة قرطبة بقوله ((بقبلتها بطاح سهلة وبجوفها جبل المنيف المسمى بالعروس بالكروم والزيتون وسائر الأشجار وأنواع الأزهار)) (ابن غالب, 1955, 295–296) ، كما اشتهرت الاندلس بزراعة أشجار البلوط فهذه مدينة قلعة اوريط فيها ((شجر البلوط الحلو اللذيذ الطعم ولا يبلغه بلوط في الاندلس)) (ابن غالب, 1955, 289)

فضلاً عن الاهتمام بالأراضي الزراعية والمزروعات في مدن الاندلس كان هناك اهتمام أيضاً بإنتاج العسل فهذه مدينة اشبيلية اشتهرت بإنتاج العسل ((يبقى عسلها لا يرمل وبحالته الأولى لا يتبدل)) وفي مدينة اشبونه ((وفي جبالها شورة العسل وهو الأبيض الخالص يشبه السكر في المذاق)) (ابن غالب, 1955, 291) ، كما في كورة باجة ذكر بقوله ((وتتصل بكورة ماردة وهي ارض زرع وضرع ونوارها يحسن للنحل ويكثر عنه العسل)), (ابن غالب, 1955, 290 ؛ الحميري, 1957, 75).

كما احتاجت الزراعة والأراضي الزراعية إلى وسائل للري على الرغم من استغلال موارد المياه, كالأمطار والأنهار فضلاً عن العيون, فهذه مدينة تدمير ((أرضها سقيا وسقياها بالنهر كسقيا ارض مصر بالنيل)) (ابن غالب, 1955, 285 ؛ الحموي, 1993, 19/2) فضلاً عن مدن عديدة من الاندلس ذكرها ابن غالب تسقى مزروعاتها بالعيون فهذه مدينة لبلة فيها من العيون ((ثلاث عيون احداها عين لميس وهي عذبة طيبة والثانية عين تنبعث بالشب والثالثة عين تنبعث بالزاج)), وهذه مدينة رية بها ((عيون مطردة وانهار غزيرة)) (ابن غالب, 1955, 292–294) ومدينة جيان امتازت بـ((طيب الأرض وكثرة الثمر واطراد العيون)) (ابن غالب, 1955, 284).

أما بالنسبة لتربية الحيوانات والصيد فقد كانت اعمال قائمة بذاتها ولكنها كثيراً ما تتصل بالزراعة, إذ تشكل الثروة الحيوانية مورداً اقتصادياً للدخل لعدد من مدن الاندلس وسد حاجات السكان من اللحوم والألبان ومنتجاتها ، فضلاً عن تربية الحيوانات هي الاستفادة منها في أغراض الزراعة , فهذه مدينة قلعة رباح ((وهي غرب من طليطلة يطيب مرعاها ويزكو طعامها وتحسن الماشية في مسارحها ولألبانها فضل بائن على غيرها)) (ابن غالب, 1955, 289)

وهذه سهول مدينة اشبيلية التي تشتهر بتربية المواشي إذ يذكر بقوله ((وفضل الصيد في بر وبحر ولها مرافق كثيرة شتى ومرجها لا ينهثم صيفاً ولا ينحطم ويتحاذى ملؤه رطبا وبذلك يصلح نتاجها وتدوم البان ماشيتها)) (ابن غالب, 1955, 293 ؛ الحموي, 1993, 195/1).

فضلاً عن مدينة اشبونه وما تمتاز به من الصيد سواء براً أو بحراً كما هو الحال في مدينة اكشوبنه ((وصيدها كثير في البر والبحر)).

ان هذه الميزات التي اكتسبتها مدن الاندلس كان لها الأثر البالغ في اقتصاديات البلاد اذ امتازت بطيب الهواء وعذوبه الماء وكثرة الخيرات (ابن غالب, 1955, 291 ؛ الحموي, 1993, 195/1).

ثانياً: الصناعة والمعادن

عرفت مدن الاندلس مهنة الصناعة والتي تعد احدى الأنشطة الاقتصادية المهمة فيها, فقد اشتهرت بمعادن الحديد والفولاذ والنحاس, فضلاً عن معادن الذهب والفضة ونظراً لتوفر هذه المعادن وكثرتها ظهرت في الأندلس صناعات متعددة مثل صناعة الأقداح والأطباق والأكواب فهذه مدينة البيرة ((وفيها معادن جوهرية من ذهب وفضة ورصاص ونحاس وحديد ومعدن حجر التوتياء)) كما ذكر في المدينة نفسها ((وبها مقطع رخام لين ابيض يتصرف تصرف الكذان (الحجارة الرخوة)

... وتعمل منه الأقداح والأطباق والأكواب والاسطال والحقاق وكل ما يخرط من الخشب يخرط منه)) (ابن غالب, 1955, 283)

وان مدينة تدمير بها معادن الفضة وفي مدينة بلنسية بها معدن الحديد, وهذه المعادن اهلتها لقيام صناعات حديدة ومعدنية (ابن غالب, 1955, 285 ؛ الحموي, 1993, 19/2, 490/1).

كما ذكر في مدينة فريش ((وهي اكثر البلدان معادن الحديد)) وفي اشبونه ((معدن من التبر الخالص غزير المادة)) كما اشتهرت مدن الاندلس بمعدن الزنجفر (كبريتيد الزئبق) فهذه مدينة قلعة اوريط ((فيها معادن الزئبق ومنه ينتشر في كل افق ومادته غزيرة لا ينقطع وفيه الزنجفور المنقطع القرين الذي لا يوجد له نظير)) (ابن غالب, 1955, 289-291).

كما اشتهرت مدينة بربطانية بمعدن الملح فذكرها ((وفيها معدن الملح الاندراني وهو الأبيض الصافي وليس هو في غيرها)) ومن الصناعات الأخرى التي ذكرت هي صناعة آلات السفن لتلبية حاجات ومتطلبات القوات البحرية (ابن غالب, 1955, 283-287).

فهذه مدينة المرية هي ((دار الصنعة ... قد استقرت فيها العدة والآلات للسفن ولما يقوم به الاسطول)) ، ولموقع مدن الاندلس ووفرة الغابات الكثيفة والواسعة كانت مصدراً اساسياً قامت عليه صناعة الأخشاب إذ ان مدينة ننتشكه فيها جبال ((ينقل منها الخشب ويعم الاندلس)) كما ذكر ان مدينة طرطوشه امتازت بخشب الصنوبر (ابن غالب, 1955, 283-286 ؛ الحموي, 1993, 119/5).

ومن الصناعات الأخرى التي قامت في الأندلس والتي امتازت بجودتها وتنوع اصنافها هي صناعة الملابس والطرز فهذه مدينة المرية ((كان يعمل فيها من الوشى والسقلاطوني والبغدادي وسائر أجناس الديباج وجميع ما يعمل من الحرير مالم يعمله بصنعاء وعدن ومنها كان يسفن إلى جميع الآفاق)) (ابن غالب, 1955, 283)

وهذه مدينة جيان ((وفيها الطرز الشريفة)) وكورة تدمير ((ومنها الطرز العجيبة والصناعات الغريبة)), ومدينة سرقسطة ((ولأهلها فضل الحكمة في صنعة السمور والبراعة فيه بلطف التدبير وهي الثياب الرقيقة يقوم بطرزها بكمالها منفردة بالنسج في عدة)) (ابن غالب, 1955, 285-287).

أما التجارة لم يتطرق صاحب كتاب فرحة الانفس إليها ولا إلى أنواعها.

الفصل الثالث

موارد الدولة المالية في الاندلس:

ان السياسة المالية لكل دولة تعمل على تحقيق التوازن بين الموارد والمصروفات وكانت الدولة العربية الإسلامية في الاندلس تهتم بمواردها المالية التي تدر عليها أموالاً تودعها في بيت المال, وتقوم من خلال الأموال المتحصلة بالإنفاق على مصالحها ومؤسساتها ومن أهم هذه الموارد جباية الخراج وهو الذي يخرج في السنة من المال بقدر معلوم (الازهري, 1973, 49/7 ؛ الكبيسي, 2009, 104) فهذا الأمير الأموي الحكم بن هشام (180–206هـ/ 822–852) كانت جباية قرطبة في كل عام بمبلغ إذ ذكره بقوله ((وكانت جباية هذه الأقاليم (أقاليم قرطبه) في كل عام على اتم العدل وأوفاه من الذهب مائة الف دينار وعشرة الاف دينار وعشرين دينار ومن الشعير سبعة الاف مدى وستمائة مدى وستة وأربعون مداً ومن القمح أربعة الاف مدى وستمائة مدى والمدى من ثمانية قناطير وهو المدى القرطبي)) (ابن غالب, 1955, 306).

وفي عهد الخليفة الناصر لدين الله (316–350هـ/929–961م) كان هو الذي يشرف على جباية الخراج فقد قسم جبايته كما ذكر ((وكان الناصر لدين الله قد قسم جبايته اثلاثاً ثلث موقوف على الجند وثلث مدخر في خزائنه للنوائب وثلث للنفقة في الزهراء)) (ابن غالب, 1955, 301 ؛ ابن الخطيب, 1956, 38) كما ذكر ان الخليفة الناصر لدين الله قسم جبايته ((ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر)) (ابن عذاري, 1948, 231/2–232 ؛ مجهول, 1983, 163/1–164).

أولاً: النفقات على التجهيزات العسكرية:

1– العطاء والأرزاق: فهو عبارة عن مبالغ مقطوعة تدفع كهبات أو عطايا مقابل خدمات (حماد, 1993, 142) أو هو ما يفرض من بيت المال بقدر الحاجة والكفاية وارتزق القوم أي أخذوا ارزاقهم, فهذا الخليفة الاندلسي الحكم المستنصر بالله (350–366هـ/ 961–976م) اجرى الارزاق على الخطباء والمؤذنين (الرفاعي, 1973, 184–185) وكان ((يعمره ويخدمه من الخطباء والأئمة والمؤذنين والقومة مائة رجل وعشرات لهم من الدنانير على اختلاف منازلهم ثمانمائة دينار في الشهر)) (ابن غالب, 1955, 299).

ثانيا : النفقات على المنشآت العمرانية:

– تعد المنشآت العمرانية مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية في الاندلس فقد اهتم العرب المسلمون أيام الفتوح العربية الإسلامية الأولى ببناء المدن إذ كان الغرض منها هو الاستقرار في الأراضي المفتوحة ونقطة لانطلاق الفتوحات الإسلامية, ففي أيام حكم الخليفة الناصر لدين الله بلغ الازدهار العمراني أوج عظمته من خلال بنائه لمدينة الزهراء إذ ذكر بقوله كانت ((عدد الواح الرخام المنصوبة في الحيطان لدخول الضياء عليها أربعة وخمسون لوحاً ... وعدد الثريات فيه كبارها وصغارها مائتا ثرية وثمانون ثريه ثلاث من فضة وعدد كؤوس جميعها سبعة الاف كأس وخمسة وعشرون كأساً الكبار منها ألفان وتسعمائة منها في الثريا الكبيرة المعلقة في القبة العظمى الف كأس وعشرون كأساً)) (إبن غالب, 1955, 298 ؛ الحموي, 1993, 161/3)

كما ذكر بقوله ((كان يحترق فيها (في الزهراء) من الزيت مائة قنطار وخمسة وعشرون قنطاراً منه في شهر رمضان خمسة وسبعون قنطاراً, لليلة تسع وعشرين منه وهي ليلة الاحياء على ختم القرآن خمسة وثلاثون قنطاراً والاربعون قنطاراً في الشهر كله ...)) (ابن غالب, 1955, 299).

وان بناء المدن ينبع من ازدهار اقتصادي فذكر ان الخليفة الناصر لدين الله ((كان مبلغ ما ينفق منها في كل يوم من الصخر المنحوت المحكم المعدل لوجه البناء ستة الاف صخرة)) (ابن غالب, 1955, 300) كذلك ذكر ذلك صاحب البيان المغرب ((كان يصرف فيها من الصخر المنجور ستة الاف صخرة في اليوم سوى التبليط في الأساس)) (ابن عذاري, 1948, 2/209-31 ؛ مجهول, 1983, 1/162) بمعنى ان الخليفة الناصر لدين الله انفق على بناء مدينة الزهراء اموالاً كثيرة فضلاً عن المواد المستعملة في بنائها من الرخام والعاج إذ ذكر بقوله ((وجلب اليها الرخام من قرطاجنة افريقية ومن تونس وغيرها ... وكان يصلهم على كل رخامة كبيرة أو صغيرة بعشرة دنانير قاسمية اجرة لهم سوى ما كان يلزمها من المؤن والتسفير وكان يصلهم على كل سارية بثمانية مثاقيل ذهباً)) (ابن غالب, 1955, 300-301 ؛ مجهول, 1983, 1/162-163).

كما جاء ذكرها ((وجلب اليها الرخام من قرطاجنة افريقية ومن تونس ... وكان الناصر يصلهم على كل رخامة بثلاثة دنانير وعلى كل سارية بثمانية دنانير سجلماسية)) (ابن عذاري, 1948, 2/231 ؛ المقري, 1968, 2/57-58) وكانت عدد السوراي ((أربعة الاف سارية منها ما جلب من افريقية وذلك ثلاثة عشر سارية ومنها ما جلب من بلاد الافرنج وذلك تسع عشرة سارية سوى الذي اهدى اليه ملك رومة وذلك اربعون سارية لم تعرف لها قيمة)) (ابن غالب, 1955, 300-301)

كما تحدث بقوله عن الانفاق على أبواب الزهراء بقوله ((ان مصانع المدينة الزهراء وقصورها اشتملت على خمسة عشر الف زوج باب ومئتين زائدة منها المصفح بالحديد المبيض القزدير ومنها المصفح بالنحاس الاصفر ومنها الخشب المنقوش والمرصع)) (ابن غالب, 1955, 301).

فجملة ما انفق على مدينة الزهراء في عصر الخلافة الأموية ولاسيما عهد الخليفة الناصر لدين الله ان ((حصل النفقة فيها كل عام ثلاثمائة الف دينار عيوناً ذهبا وانه حصل جميع الانفاق في مدة بنائها فكان مبلغه خمسة عشر بيت مال ... وان مبلغ النفقة من الدراهم القاسمية بالكيل القرطبي ثمانون مديا وستة اقفزة وزائد اكيال, وهذا المدى القرطبي زنته ثمانية قناطير والستة اقفزة هي نصف مدى, زنته اربعة قناطير)) كما ذكر انه انفق الخليفة الناصر لدين الله على سقف قصره في الزهراء أموالاً جمه بقوله ((كان قد اتخذ لسطح العليه الصغرى التي كانت مائلة على الصرح الممدود قراميد ذهب وفضة وانفق عليها مالاً جزيلاً)), (ابن غالب, 1955, 301-302 ؛ ابن عذاري, 1948, 2/231).

فضلاً عن بناء المدن بناء المساجد الجامعة اذ امتازت المدن الإسلامية بكثرة بناء المساجد والاهتمام بها فقد انفقوا عليها باعتبار المساجد عمل يخلد ذكراهم إلى جانب كونه من مظاهر هيبة الدولة الإسلامية فهذا الخليفة الحكم المستنصر بالله قام بتوسيع المسجد الجامع بقرطبة والزيادة فيه نتيجة لازدحام المصلين به فذكر انه ((وجدت بخط الحكم ان مبلغ النفقة في الزيادة المنسوبة اليه من الدنانير مائتا الف وواحد وستون الفاً وخمسة وتسعة وثلاثون ديناراً وعشرون ونصف عشر)) (ابن غالب, 1955, 299 ؛ ابن عذاري, 1948, 2/241 ؛ مجهول, 1983, 1/170-171).

وكان هذا الجامع قد تميز بزخارف معمارية هندسية من ((الصندل الأحمر والأصفر والابنوس والعود الرطب والمرجان أوصاله من فضة مثبته ... وعدة اعمدة الرخام فيه الف عمود ومائتا عمود وثلاثة وسبعون عموداً ومثلها مدفونة تحت الأرض)) كما ذكر ان مقصورة المسجد الجامع ((بابها من ذهب مضروب وعضادتاه عودان من أبنوس طوله وأوصاله من فضة)) , (ابن غالب, 1955, 298 ؛ ابن عذاري, 1948, 2/250).

فضلاً عن النفقات والموارد المالية كان هناك حالات للبذخ والظهور بمظهر الأبهة وانفاق الأموال وظهر ذلك لاسيما في عصر الخلافة الأندلسية وبالتحديد عهد الخليفة الناصر لدين الله فذكر ((أن دور الرعايا والسواد .. مائة الف

دار وثلاثة عشر الف دار حاشا دور الوزراء وأكابر الدولة ومن أحرم بحرمة السلطان من السيدات والرواشد وخدم الحرمة والطباخات وحرم الفتيان ستة الاف وثلثمائة واربع عشرة امرأة وعدد الفتيان ... ثلاثة الاف فتى وسبعة وثمانون وكان لهم في كل يوم من اللحم ثلاثة عشر الف رطل والرطل ستة وثلاثون اوقية يغدق عليهم من عشرات ارطال إلى رطل واحد حاشا ضروب الطير والدجاج والحيتان)) وهذا ((مما يدل على عظم قرطبة كان يدخلها على سائر طرقها أيام اكتمالها من جلائب الغنم في كل يوم ... ما بين سبعين الف رأس إلى مائة الف رأس حاشا البقر وكان يباع فيها من أنواع السمك المملوح وغيره في كل يوم .. بعشرين الف دينار قاسمية)) (ابن غالب, 1955, 296 ؛ ابن عذاري, 1948, 232/2 ؛ المقري, 1968, 584/1-585).

الخاتمة:

يعد ابن غالب الاندلسي أحد أعلام الفكر العربي الإسلامي وهو صاحب كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس الذي يعد من أهم كتب الأندلس أمكننا من خلاله التعرف على كثير من المعلومات الجغرافية والتي انفرد بها عن غيره من مؤرخي عصره من خلال ذكره للأوضاع الاقتصادية من الزراعة واهم المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها المدن الاندلسية والية زراعتها ومن هذه المحاصيل الزراعية الزيتون والكتان والقطن والزعفران ، فضلا عن انواع عديدة من الفواكه والاشجار المثمرة وكيفية سقي هذه المزروعات والاراضي الزراعية سواء بالامطار او الانهار او بالعيون ، كما تحدث عن تربية الماشية وكيفية صيدها باعتبار ان هذه الثروة الحيوانية من الموارد الاقتصادية للبلاد، فضلا عن الصناعة والمعادن وأهم المدن الاندلسية التي اشتهرت بها هذه المعادن والتي تدخل بالصناعة واهميتها في اقتصاد بلاد الاندلس من خلال التصدير فضلا عن الموارد والنفقات المالية إذ تحدث عن نفقات الدولة الاندلسية وبذخهم لبناء المدن والقصور والمساجد كما تحدث عن إقامة الحفلات والمراسيم والبذخ عليها, فهذا الكتاب موسوعة جغرافية مصغرة عن عدد من المدن الاندلسية واقتصادها وتأثيرها على الاندلس هذه الكتب وغيرها عدت احد الدعائم التي قامت عليها الحضارة العربية الإسلامية في الاندلس.

المصادر والمراجع:

1- الازهري, أبو منصور محمد, (1973), (ت: 370هـ/ 980م), تهذيب اللغة, تحقيق: عبدالسلام هارون, دار الصادق, القاهرة, ج7.

2- البكري, أبو عبيد الله عبدالله بن عبدالعزيز, (1968), (ت: 487هـ/ 1097م), جغرافية بلاد الاندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك, تحقيق: عبدالرحمن علي الحجي, دار الارشاد للطباعة, بيروت.

3- حماد, نزيه, (1993), معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء, المعهد العالي للفكر الإسلامي, الولايات المتحدة.

4- الحموي, شهاب الدين أبو عبدالله الرومي, (1993), (ت: 626هـ/ 1229م), معجم البلدان, دار صادر, بيروت.

5- الحميري, محمد بن عبدالمنعم, (1975), (ت: 710هـ/ 1310م) الروض المعطار في خبر الاقطار, تحقيق: احسان عباس, مؤسسة ناصر للثقافة, بيروت.

6- ابن الخطيب, لسان الدين بن محمد بن عبدالله, (1956), (ت: 776هـ/ 1374م), اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام, تحقيق: ليفي بروفنسال, دار المكشوف, بيروت.

7- الرفاعي, انور, (1973), النظم الإسلامية, دار الفكر, دمشق.

8- ابن سعيد المغربي, ابو الحسن علي بن موسى, (1119), (ت: 685هـ/ 1286م), المغرب في حُلى المغرب, تحقيق: شوقي ضيف, دار المعارف, القاهرة.

9- ابن السماك, أبو عبدالله بن ابي المعلى العاملي, (1979), (ت: 713هـ/ 1313م), الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشية, دار الرشاد, الدار البيضاء.

10- ابن عذاري, أبو العباس أحمد بن محمد, (1950) (ت: 712هـ/ 1312م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب, تحقيق: ليفي بروفنسال, مكتبة صادر, بيروت.

11- ابن غالب, محمد بن أيوب (1955), (ت: القرن 6هـ/ 12م) فرحة الأنفس في تاريخ الاندلس, تحقيق: لطفي عبدالبديع, مجلة معهد المخطوطات العربية, القاهرة.

12- أبو الفدا, عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر, (1840), (ت: 732هـ/ 1331م), تقويم البلدان, تحقيق: رينود البارون ماك, دار الطباعة السلطانية, باريس.

13- مجهول, مؤلف, (1983), ذكر بلاد الأندلس, تحقيق: لويس مولينا, المجلس الأعلى للأبحاث العلمية, مدريد.

14- المراكشي, عبدالواحد بن علي (1963), (ت: 647هـ/ 1249م), المعجب في تلخيص أخبار المغرب, تحقيق: محمد سعيد العريان, دار احياء التراث الإسلامي, القاهرة.

15- المقري, شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني, (1968), (ت: 1041هـ/ 1632م), نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب, تحقيق: احسان عباس, دار صادر, بيروت.

16- الكبيسي, مقتدر حمدان عبدالمجيد, (2009), ملكية الأراضي الزراعية واستثمارها في الأندلس, ديوان الوقف السني, بغداد.

جدول من عمل الباحثة عن المدن المذكورة في كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس

ت	أهم المدن التي ذكرها ابن غالب	الموقع	الزراعة	المعادن
1	كورة قبرة	تتصل بقرطبة	الزيتون	
2	كورة البيرة	بين القبلة والشرق من قرطبة	الجوز وقصب السكر	ذهب وفضة ورصاص ونحاس وحديد وحجر التوتياء
3	كورة جيان	تتصل باحواز كورة البيرة قريبة من قرطبة	كثرة الثمر	
4	كورة تدمير	شرق من قرطبة	كثرة الثمر	حجر اللازورد والفضة
5	كورة بلنسية	شرق من تدمير وشرق من قرطبة	الكروم والتين والزيتون	

ت	أهم المدن التي ذكرها ابن غالب	الموقع	الزراعة	المعادن
6	مدينة طرطوشة	شرق من بلنسية وشرق من قرطبة	شجر البقس (الأس) وخشب الصنوبر	
7	مدينة طركونه	تتصل بمدينة طرطوشة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط	كثيرة الزرع	
8	مدينة لاردة	تقع شمال شرق الاندلس	كثيرة الزرع	
9	مدينة بربطانية	تتصل بمدينة لاردة	كثيرة الزرع	معدن الملح الاندراني (ملح معدني متبلور)
10	مدينة سالم	قريبة من طليطلة	كثيرة الزرع	
11	مدينة شنتبرية	شرق من قرطبة	كثيرة الزرع	
12	مدينة طليطلة	مطلة على نهر تاجة	القمح والزعفران	
13	مدينة أشقة	شرق سرقسطة	كثيرة الزرع	
14	مدينة تطيلة	تتصل بمدينة أشقة	كثيرة الثمار	
15	مدينة سرقسطة	شرق من قرطبة	كثيرة الزرع	
16	مدينة قلعة رباح	غرب من طليطلة	كثيرة الثمار	
17	مدينة قلعة أوريط	من كور تدمير	شجر البلوط الحلو	الزئبق والزنجنور (اصباغ)
18	مدينة فريش	غرب من قرطبة	شجر الشاه والبلوط وشجر الغراسيا وشجر الجلو (البندق) والجوز	الحديد
19	كورة ماردة	غرب الاندلس	كثيرة الزرع	
20	كورة باجة	تتصل بمدينة ماردة	أرض زرع وضرع تمتاز بانتاج العسل	
21	مدينة شنترين	تتصل بمدينة باجة على نهر تاجه	كثيرة الزرع	
22	مدينة أشبونة	تتصل بمدينة شنترين	كثرة الثمار وتمتاز بالعسل وزراعة العنبر	التبر الخالص(نوع من انواع المعادن)
23	مدينة أكشونبة	تتصل بمدينة أشبونة	كثرة الثمار والزرع	
24	حصون لبلة	جنوب الاندلس	كثرة الثمار والزرع	
25	كورة قرمونة	شرق اشبيلية وغرب قرطبة	كثيرة الثماروالزرع	
26	كورة أشبيلية	شرق من لبلة وغرب قرطبة	الزيتون	
27	كورة مورور	من مدن قرطبة بين الغرب والقبلة	الزيتون والفواكه	
28	كورة شذونة	تتصل بمدينة مورور جنوب الاندلس	الزيتون والعنب التين	
29	كورة الجزيرة الخضراء	شرق من شذونة وقبلة من قرطبة	كثرة الزرع	
30	كورة رية	تتصل بمدينة الجزيرة الخضراء	كثرة الثمار	
31	مدينة قرطمة	تقع في جنوب شرق على البحر الابيض المتوسط	كثرة الثمار	
32	حصن ببشتر	حصن بينه وبين قرطبة (80 ميل)	الكروم والزيتون والرمان واللوز	
33	كورة استجة	تتصل بمدينة كورة رية	كثرة الزرع	
34	مدينة قرطبة	قاعدة الاندلس	الكروم الزيتون وسائر الأشجار والأزهار	
35	الزهراء	قريبة من قرطبة	كثرة الثمار	